# الجذور التاريخية للياقة والتصرف الاجتماعي القيّـم في المجتمع العراقي

أ. م. د.حسيـن علـي البـدري

جامعة البصرة – كلية الفنون الجميلة

**المقدمـــــة :**

**انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) حديث شريف :**

ان الأدب والأخلاق هي ثوب الروح ، علينا التعامل معها كما نتعامل مع ملابسنا كل يوم ، وهي التي تقتضي البحث عنها بدقة لأنها تمنحنا الصورة الجميلة ، اضافة لفعلها في تغطية عيوب الجسد ، لذا يجب ان لا تمنع الروح ان تتحرك فيه بحرية .

منذ قرون كان بيكون Bacon قد أعطى لنا تعريفاً ملائماً جداً بلا شك بالتصرف الصحيح حيث أكد على ان يعيش الواحد منا مع نفسه أولاً ومع الآخرين بعد ذلك لذا وجب علينا ان نحترم الحياة الداخلية والخارجية للآخرين اذا أردنا ان نحترم حياتنا . ومن باب التعريف بهذا العمل الذي أقدمنا عليه نود الاشارة الى اننا قرأنا ما تيسر لدينا وتوافر عندنا من محاولات جادة في دراسة قواعد اللياقة والتصرف من منظور اجتماعي اضافة الى تعدد المصادر الغربية منها على وجه التحديد والعربية والاسلامية في هذا الميدان ، وعلى الرغم من ان هذا التنوع النقدي الذي توفر من تاريخنا في هذا المجال ، الا ان مرور الزمن أدى الى نسيانها بل نكرانها تماماً لتعود وكأنها أعضاء غريبة زرعت في أجسادنا لتلقى منا الرفض والإبعاد . كذلك وجدنا ان هناك الكثير من اللمسات الصادقة والمواقع الأصيلة لم يكتشفها البعض ، لذا عمدنا جاهدين لأستحضار ما كنا قد علمّنا البشرية بها لنراها الآن يعاد تصديرها الينا بشكل مبهر أحياناً .

ان سبب خلو هذه المحاولة الصادقة من التوثيق والاشارة أحياناً الى بعض الآراء المحلية المعاصرة هو انها من آرائنا التي توفرنا عليها من دراساتنا المتواضعة في هذا الصدد ، وانها لم تصدر من فراغ لأنها تمتلك الأساس الذي يعتمد مدارس علم الاجتماع في التحليل والمنهج ، كما انها لا تتحدث في التصرف اللائق عن غائب لأنها استخدمت المفردات الاجتماعية المعروفة استخداماً موضوعياً وحيادياً لكتابة هذا البحث بسبب اقامتنا في أوربا لفترة ليست بقصيرة

للدراسة حيث وجدنا الممارسات الاسلامية في غير المجتمع الاسلامي وهذا معروف للجميع عندما زار الشيخ محمد عبده وشيخ الأزهر محمود شلتوت هذه البلدان ، حين قالا وجدنا في الغرب الاسلام ولم نجد المسلمين وكذلك ما وافانا به رفاعة الطهطاوي عندما ذهب للدراسة في فرنسا بما جاء في كتابه ( تخليص الآبريز في تلخيص باريز ) . فما الذي دفعهم لذكر ذلك وهم التقاة والاعلام في المجتمع المصري العربي المسلم ، رغم من ان التصور الاسلامي يطرح مبدأً عاماً هو مبدأ كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، حيث توضع المسؤولية على كل انسان يضطلع بممارسة دوره في صنع القرارات ، او بالأحرى يمارس مسؤوليته في نطاق ما يمارسه من دور اجتماعي [1] ، وما مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا نموذجاً واضحاً لهذا الدور الذي فرضه التصور الاسلامي على الأفراد جميعاً ، أي ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشكل مبدأً وواجباً الزامياً على كل شخص بحسب مقدوره بطبيعة الحال.الأمر الذي سيترك انعكاسات جمّة على صياغة المجتمع.

ان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبقى متصلاً باحد مصطلحات البحث الاجتماعي وهو ( الضبط الاجتماعي ) فحين يستخدم علماء الاجتماع هذا المصطلح يقصدون به الوسائل والطرائق التي تتم من خلالها السيطرة على المجتمعات من حيث ضبطها وحجزها عن الوقوع في الانحراف او الخلل الذي يؤثر على توازنها واستمرارية ثباتها .

اذاً ما الذي أدى الى ركود مجتمعاتنا لا في المجالات التقنية فحسب ، بل على صعيد السلوك والتصرف اللائق الذي يظهرنا بالصورة الحضارية اللائقة ، وللتعرف على ذلك لابد لنا من ان نعود الى الأصول البعيدة لمجتمعاتنا التي اتصفت بالصفات التي نحن الآن بصدد دراستها شريطة تحررنا من روح الماضي وتكييفه لما حاصل الآن في ضوء الاختراعات والاكتشافات الحديثة وصولاً الى صورة متكاملة لحياة مجتمعاتنا المتطورة ، فبالرغم من بعض التقدم الاقتصادي وأحياناً الصناعي فاننا نجد بموازاة ذلك أنماطاً سلوكية وأخلاقية متقدمة تبدأ حلقات نهوضها بالاسرة فصاعداً . لذا يجب ان نكون كالمجتمعات المتحضرة التي لا تكف عن اصدار العديد من الكتب والاصدارات التعليمية الموجهة في شتى المجالات ، وبخاصة في مجال اللياقة والتصرف الاجتماعي المتحضر السليم كتذكير متكرر للأجيال ، على عكس ما نحن عليه رغم كل ما نحمله من ارث حضاري مجيد ، أدى الى تدنٍ في التصرف اللائق او أمية حضارية مطبقة اتسمت بالجهل وبمبدأ القصور الذاتي لرغباتنا الشخصية غير المجدية بنبذ كل ما هو جديد ومفيد لحين مجيء الاسلام الذي كان هداية ورحمة للعالمين .

هذه الاصدارات التي تعرف بـ ( كيف تعيش savoir vivre ) تتوجه الى الجميع الذين يواجهون مواقف جديدة في الحياة تعرضهم أحياناً ، الى مضايقات

من قبل الآخرين في التصرف العصري اللائق ، فهذه الاصدارات تصطاد كل ما هو جديد مفيد وممكن ، ان تصبح دليلاً في العلاقات مع الآخرين آخذاً مجراها بشكل تلقائي وبسيط في التعامل والاتصال ، اضافة الى ذكر النواهي عن بعض الأفعال غير المرغوب فيها كي تشبع الرغبة المتزايدة للاندماج في المجتمع المتحضر والطموح بعرض الطرق التي تحبب الأفراد الى الآخرين وتبعدهم عن روح الأنانية وتدعو الى الاعتراف بقيمة الآخرين .

ففي فرنسا – على سبيل المثال - ومنذ الحرب العالمية الأولى تم الاهتمام بهذه الاصدارات بشكل كبير ، لأن التصرف الحسن يقودنا بلا توقف الى الأخلاق الحميدة التي تلزمنا بالاهتمام بحياتنا وبحياة الآخرين .

ولكي لا يقال عنا بأننا نستهلك المعلومات ولا ننتج معرفة ، جاء هذا البحث كي يبعدنا عن تدشين عصر الديناصور الثاني كما يشاع عنا .

وقد اقتضت ضرورات البحث ان يكون من مباحث خمسة تناولت فيها الموضوعات التالية ، عالجت في المبحث الأول ( المرجعيات التاريخية للسلوك والتصرف الاجتماعي ) . والمبحث الثاني جاء تحت عنوان ( صور من الأخلاق الحميدة ) . اما المبحث الثالث فعنوانه ( الحديث مرآة التحضر ) . والمبحث الرابع فكان عن ( السمات الحضارية في المجتمع المتحضر ) . وخصصت المبحث الخامس لـ ( آداب المائدة ) .

وأخيراً أرجو ان أكون قد وفقت في هذه الدراسة بمعالجة ما ورد فيها كافة ، لكي نطلع على روافد الأخلاق الحميدة لتاريخنا وما اقتبس منه لدى المجتمعات الأخرى . هذا وقد استبعدنا الممارسات السلبية في المجتمع الآخر والتي هي كثيرة أيضاً ، حفاظاً على صورة المقارنة بين المجتمعين من الناحية الايجابية والذي هو محور بحثنا هذا وقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي والوصفي التحليلي .

## مشكلة البحث :

رغم ما نتمتع به من ارث حضاري عريق قبل الاسلام وبعده ، وما رفدنا العالم بمكارم الأخلاق الحميدة ، بعد مجيء الإسلام برسالته السمحة والتي كانت مناراً تضيء الدرب لمجتمعات العالم الا ان هذا النور قد خبا ، ونسينا او تناسينا بعض هذه الاضاءات ، فتردى وضعنا كثيراً بعد ان تركنا هذه القيم وتلقفها الغير ، وأجاد فيها ، فهل لهذه المشكلة من حلول هذا ما سنحاول بحثه ، بشكل جاد في هذا الجهد المتواضع ، لقلة الدراسات الحالية وفقدان المكتبة العربية لها ، ولأهميته القصوى ، لنجد لنا مكاناً تحت شمس هذا العصر بين الأمم . لذا كان بحثنا يتناول المجتمع العراقي والمجتمع الفرنسي .

## هدف البحث :

يهدف البحث الى فهم مدلول اللياقة الاجتماعية وتحديد الاطار السوسيولوجي المصاحب له بالغاء الأمية الاجتماعية المتفشية في مجتمعاتنا بعد الاطلاع على ما لدى المجتمعات المتحضرة ، لكون الثقافة تراكمية تنتقل من جيل لآخر ومن مجتمع لآخر ، فاذا ما استجد عنصر ثقافي كالستلايت مثلاً ، لا يلبث ان يندفع في النسيج المكون للثقافة وأحياناً يختفي كما اختفى التحنيط الفرعوني . فما نراه جميلاً او صواباً او خطأً او ما يراه الآخرون يتوقف على امتدادات خطوط الطول والعرض للكرة الأرضية التي يقع عليها المنزل الذي تصادف ان ولدنا فيه[2] ، أي دور البيئة الاجتماعية الجغرافية في منح الانسان القيم والسلوك ، لكن هذا لا يمنع من ان نمسك بعدسة كبيرة من عدسات هذا القرن للاطلاع على الصورة الحقيقية لمجتمعاته لكي نصبح قوماً نستفيد من كل جديد لا ان نستعيذ ، مع علمنا بان ليس في كل جديد شيء مفيد وهذا ليس باندر من الكبريت الأحمر كما يقال . فلنا من مقومات الحضارة الشيء الكثير التي تعيننا على ذلك ، لاسيما ونحن نقطن بلداً تتوسد المنطقة المعتدلة من الكرة الأرضية وبما تمتاز به من مناخ تشجع على نشوء الحضارة كما أكد على ذلك ابن خلدون كثيراً . حيث تكون حاضنتها[3] .

## المبحث الأول
## المرجعيات التاريخية – للسلوك والتصرف الاجتماعي

ان الخصائص التي احتفظ بها أهلنا طوال تاريخهم الطويل ، كثيرة بالامكان ادراكها بوضوح في قراءة مسيرتنا التاريخية التي تميزت بسمتين بارزتين لهما أثر خاص في تاريخه ، وهما الانسانية والنظرة الواسعة للحياة ، فالأولى تتجلى في الأهتمام بالانسان والحرص على العناية بدراسته وتيسير الحياة له والعناية بتوفير ما ييسر طمأنينته وازدهاره ، وظهر هذا الاهتمام واضحاً في الحرص على حرية العمل والكلام والعقيدة ، تجلى ذلك في ما أبدعوه من أفكار وآراء في مختلف جوانب الحياة الانسانية والتي بقيت معيناً يرفد أهل العصر والأجيال التالية .

ان الاهتمام بالانسان أدى الى عناية رائدة في تثبيت البيئة التي تؤمن العيش السليم. لقد أدرك أهلنا ان الانسان عضو في المجتمع وان وجوده ونموه ورفاهه يعتمد على نوع من علاقته ببقية أعضاء المجتمع ، فحرصوا على تطبيق النظم التي تؤمن ذلك . والسمة الثانية التي تميزنا بها عبر التاريخ هي النظرة الواسعة والأفق الرحب الذي يتجاوز الأنانية المقيتة ، والعنصرية الضيقة مع الثقة العالية بالذات واعتداد بالخصائص المميزة القائمة على الادراك للمفيد لابناء الأمة والانسانية ، وعندما هدانا الله تعالى للاسلام عقيدة وفكراً أغنينا العالم بما انجزناه

ومارسناه ، حيث كانت تلك اضافة أخرى لما كنا نتحلى به . فالدين كما هو معروف يؤثر تأثيراً واضحاً في البناء الاجتماعي من خلال ما يزوده للمؤسسات او نظم البناء الاجتماعي بالعديد من الضوابط والأحكام والقوانين المحددة لسلوك الأفراد والجماعات وعلاقاتهم الانسانية [4] . كذلك يسهم الدين في قوة الشخصية وتكامل عناصرها التكوينية بحيث لا تتأثر هذه الشخصية بدوافع الغريزة والشهوة والتصدي للأعمال المنكرة التي يقوم بها البعض . وتسارع الى عمل الخير والفلاح ، ويمكن للدين ان يسهم في مثل هذه الشخصية المتكاملة عن طريق التنشئة الاجتماعية . إضافة لما يعد الدين مصدراً أساسياً للقيم والممارسات السلوكية ، فهو لا يفرز القيم الايجابية عن السلبية فقط بل يحث على الالتزام بالقيم الايجابية والبناءة كالصدق في القول والإخلاص في العمل والثقة بالنفس والشجاعة والصبر واحترام الآخرين والعدالة والحرية والمساواة والعفة والمروءة والشفقة [5] . ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

من المسلمات المعروفة والذي أكدها فلاسفة التاريخ والمفكرون ان هنالك ترابطاً جدلياً بين الماضي والحاضر ، وهذا الترابط يدلل على حقيقته ، الاتجاه الايجابي لصلة الترابط الحي بين ماضي كل شعب وحاضره ، فاذا كان الماضي مشرفاً يفرض بارجحية بينة ، هي ضرورة ان يكون الحاضر بالاتجاه المشرق والمشرف معاً ، لذلك نجد ان الشعوب التي فقدت أصولها الحضارية في التاريخ تواجه صعوبات بالغة تصل حد المستحيل أحياناً في ان ترقى بفعلها الى المستوى الحضاري الذي ترتقي اليه أمة ذات جذور عميقة منها ، اذا ما توفرت لها العوامل الأخرى في الصيرورة الأفضل ، لأن أبناءها يعانون من هزيمة داخلية كامنة في نفوسهم ، ولذلك تفتقد مدنيتهم المعاصرة الى مقومات الأصالة والإبداع ، ولذلك تظل تصرفاتهم أيضاً متعثرة او متخلفة لتبلغ الخط الانساني السليم الذي تنشده الحضارة الانسانية ، حيث نجد العديد من المفكرين والسياسيين كثيراً ما يلجأون للتاريخ في الأزمات لتجاوزها مهما كانت مؤثراتها ومدياتها ، ولا يمكن ان تكون أي استنتاجات نابعة من الماضي لها أثرها دون الإيمان بقيمة ذلك الماضي وأهميته في استنهاض مفرداته لمعالجة تلك الاشكاليات وتجاوزها . من ذلك يظل التاريخ منهلاً ومعيناً لأي شعب في تجاوز الأزمات التي تخلق اشكاليات متنوعة ، لذا يتجه الباحثون الى اختيار مواضيع للبحث والدراسة في الاتجاه الذي يكشف عن الحقائق المعاصرة وهذا الاتجاه لا يجعل الكتابة في التاريخ ترفاً فكرياً ونزوة عابرة ، انما يعبر هذا الاختيار عن مسؤولية يحسس ويشعر الباحث ان عليه ان يقوم بها كواجب أساسي من واجباته ، وهنا تصبح الكتابة المسؤولة أصعب من الاختيار ، لأن الاختيار لأي موضوع يضع الباحث على بداية الطريق غير ان الوصول الى الهدف الذي يحدده الباحث ليس أمراً هيناً ، مهما اجتهد الباحث ومهما ركز ذهنه وفكره لأن الأمر مرتبط بوفرة المادة من عدمها .

وانطلاقاً من هذه الحقائق ظهرت اتجاهات التدوين التاريخي في الفكر الحضاري العربي الاسلامي بعد اهتمام المؤرخين بالكتابة في تاريخ مدنهم وبلدانهم ، حيث كشفت لنا تلك المؤلفات معلومات قيمة ومهمة عن تاريخ العمران في تلك المدن وبيان أهميتها ومكانتها بين بلدان المعمورة . وعليه كان سعينا هو تناول التاريخ الفكري والحضاري من زاوية خاصة وتشخيص دقيق لماضٍ تليد غاب عنا بفعل عوامل خارجية وداخلية وبقيت مجرد شعارات وحكم تمتلئ بها مجلدات هائلة لا نعي أثرها سوى أننا نعيدها ونتغنى بها دون روح لا تثمر ولا تغير من واقعنا المعاصر اذا لم نسعَ الى تفعيلها بشكل معاصر ومقبول مراعين خصوصيتنا وأعرافنا .

لعل ما سنتطرق اليه في هذا البحث سيعكس هذه الحقيقة التاريخية والمكانة التي يتميز بها الإنسان والأرض وان ما نورده هنا يعتمد الدقة في إيراد النصوص التاريخية في هذه الأرض التي عرفت التوحيد الإلهي منذ سيدنا نوح ودعوة التوحيد الذي نادى بها سيدنا إبراهيم . كما احتضنت هذه الأرض العديد من الأنبياء والرسل بين من ولد او عاش او مات فيها . لذا فنحن أحوج ما نكون الى الكتابة في الصفحات المشرقة من التاريخ ليكون حافزاً لنا ونهجاً بليغاً لأجيالنا .

ذكر الله تعالى في محكم كتابه العزيز عن أهلنا في العراق عندما وصفهم بالبأس والشدة حين قال ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ (6)** ﴾ .

أخبرنا الله تعالى بأن بني اسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين . ففي الأولى الافساد الشامل الذي قاموا به ، حيث انتقم الله تعالى منهم على ذلك بأيدي العراقيين ، والافساد الثاني سيكون على يدي أولئك العباد الذين انتقم منهم في افسادهم الأول ، هذا وقد أخبر تعالى واعداً بدخول عباده أولي البأس الشديد الذين دخلوا بيت المقدس في المرة الأولى سيدخلوه في المرة الثانية كما دخلوه أول مرة ، وانه يؤكد دخول العراقيين الى بيت المقدس وهذا قدر آخر من قدر الله تعالى في أهل العراق وحكمة من حكمه فيهم . وانهم سيدمرون اليهود في المرة الثانية كما دمروهم في المرة الأولى [7] .

وقد اقترن الايمان النافع كذلك بأهل نينوى من العراقيين اذ وصف الله تعالى أهل العراق بأهل الايمان النافع ، قال تعالى : ﴿ **فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ**

**فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾** [8] .

وقال تعالى **﴿. . . وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ . . ﴾** [9] .

قال الطبري ( ت 310 هـ ) : ( ذلك ببابل العراق . . . وروى عن امرأة قدمت المدينة ، فذكرت انها صارت في العراق ببابل . )[10]

وفي نفس السياق وردت أحاديث شريفة ، فيروى عن معاذ بن جبل قوله : ( بينما كان رسول الله (ص) يقول : اللهم بارك لنا في صاعنا صاعين ومدنا في شامنا وفي يمننا وفي حجازنا ، قام اليه رجل فقال يا رسول الله وفي عراقنا . فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم ) : أمن العراق أنت ، قال : بلى . قال : ان ابراهيم همّ ان يدعوا عليهم فأوحى الله تعالى اليه لا تفعل ، فأني جعلت خزائن علمي فيهم وأسكنت الرحمة في قلوبهم[11] ) .

هذا التكريم العظيم الذي حظينا به انما هو بمثابة مرآة عاكسة لأخلاقنا عبر تاريخنا المجيد الذي اتسم بالأفعال المجيدة ومكارم الأخلاق . وعندما نعود الى الوراء بعيداً في أعماق التاريخ نجد ان العراق وبلاد الشام ووادي النيل هي مهد الحضارات منذ ظهور الخليقة ونزول الأنبياء والمرسلين حيث أهمية الموقع الجغرافي بالنسبة للقارات القديمة جعلته موطن الأنبياء ومهبط الرسالات السماوية ، كما ان السمات الحضارية والاجتماعية لها كالتقوى ومخافة الله والاهتمام بطلب العلم والمعرفة والعمل المبدع الخلاق والأمانة والبطولة والتعاون والتكافل هي التي جعلت الله تعالى ان يختار الصالحين من هذه الأرض ، الأنبياء والرسل ، اضافة الى الأخلاق الفاضلة والشمائل التي حباهم الله بها والصدق والاخلاص [12] .

اضافة الى كل ذلك تميز أهل العراق بالعلم والمعرفة والأدب ، حيث نجد ان أخوان الصفا الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري قد كتبوا مجموعة من الرسائل هي أشبه ما تكون بدائرة معارف مرتبة تضم علوم عصرهم وقد عدها البعض بانها أول دائرة معارف في العالم ، ضمت الكثير من الأمور الاجتماعية ، ومن قولهم بأن الدولة لها عمر تنتهي بانتهائه . وليس هنالك دولة تبقى الى الأبد[13] .

## المبحث الثاني

# صـــور الأخـــلاق الحميـــدة

المعروف ان لكل مجتمع ظواهره الخاصة به وأخرى عامة ، حيث ترتبط الأولى وتتفاعل مع الأحداث التاريخية والسياسية والدينية والاقتصادية . اما الثانية فانها توضح السمات المشتركة مع باقي المجتمعات الانسانية ، لذا فقد تطلب منا دراسة السمات المشتركة مع المجتمعات الأخرى دون نسيان الخصوصيات المحلية ، إضافة لدراسة العموميات في المجتمع الانساني . ان مجتمعنا شأنه شأن المجتمعات الانسانية الأخرى له ظواهره الخاصة به وأخرى عامة ، ومن خلال مروره بمراحل تاريخية ظهر كتّاب ومفكرون أبرزوا ظواهره ( الخاصة والعامة ) حتى قبل ظهور علم الاجتماع ، حيث نجد دراسات اجتماعية سبقت ظهور هذا العلم لم تجمع او تكتب تحت اسمه ، بل ظهرت متناثرة مما افقدت تنظيرها المفاصل التي ترتبط بها .

ان هذا البحث يتطرق الى بعض الخصوصيات التي تتمتع بها بعض المجتمعات من دراسات ومواضيع متميزة تحظى باهتمام الباحثين في الوقت الحاضر التي تعكس خصوصيتها ، منها على سبيل المقارنة ، المجتمعات الصناعية ( الغربية على وجه التحديد ) التي تأثرت بالثورة الصناعية وآثارها وان كان البعض منها قد تفشى في مجتمعاتنا من الآثار السلبية لكننا هنا لسنا بصدد دراسة السلبية منها ، بل الجوانب الايجابية المثمرة ، علنا نستعيد ما فقدناه الآن ، فهذه المجتمعات لم تنشأ من فراغ ، بل من الخبرات التي تجمعت وتراكمت مع نمو المجتمع وحركته .

ان الفكر الانساني فكر متنام ومتطور لا يستقي من منهل واحد بل مناهل عدة ، منبعها الخبرات الانسانية وتجربتها في الحياة ، ولما كنا نملك تاريخاً قديماً وعريقاً في الحضارة المدنية أنعمها الله علينا ، لم يكتب لها الاستمرار بعد ان تعرضنا الى حملات الغزو والحروب والظلم الذي أدى الى انقطاعنا عن الأصول حيث ساد قانون الغاب ، والحكم الاستبدادي ، مما أبعدنا كثيراً عن استحضار ما تميزنا به من جوانب مضيئة مشرقة حيث انتقل هذا الفيصل من بين أيدينا الى أيادي الآخرين الامر الذي حدى بالاجتماعيين المحدثين في الغرب لأستعارة هذه المفاهيم والأفكار ومفاهيم أخرى أخذت من تراث مجتمعات غيرهم كدراسة مالينوفسكي وبراون وموس وشتراوس وبارسونز ومرتن ، لافتقار تراثهم الاجتماعي الى الأفكار الحية والغنية والدينامية[14] . الأمر الذي دفعهم الى دراسة تراث الشعوب وتوظيفها لدراسة الظواهر الاجتماعية المشابهة لها في مجتمعاتهم ، مما كونت ثغرة فكرية في الدراسة بعدم ربط الماضي بالحاضر ، حيث وجدنا الاجتماعيين الأميركان الذين يفتقر مجتمعهم الى تراث حي ، نجدهم يقتبسون الكثير من مجتمعاتنا أيضاً .

وبالعودة الى مجتمعاتنا فأن ما كان سائداً خلال الحقب الماضية من وهن اجتماعي وفقدان لسيادة القيم أو غيابها بعد العديد من الحروب وفقدان للأمن والحصار خلقت ظواهر متقهقرة منها الفوضى في السلوك والانومية (*).

وعند استعراض ثراء تراثنا بالخبرات والأفكار الاجتماعية والمناهج الموضوعية في دراسة المجتمع والذي هو متروك ومهمل من قبل أغلب الاجتماعيين في مجتمعنا ، أدى ذلك الى ربط الحاضر بالماضي والى عدم ضياع تلك المنجزات الهائلة ، لذا وجب علينا العودة الى المناهل والأصول في استحضار تلك القيم والأعراف والتقاليد والأخلاق دون تغييب ما لدى الشعوب المتحضرة من معالجات واتجاهات في صياغة نظرياتنا باعتماد الأساليب السائدة التي بلغتها المجتمعات المتحضرة لردم المسافة والبور الذي يفصلنا عنهم متحررين من روح الماضي وتكييفه لما هو حاصل على ضوء السياقات العصرية والتي يتطلب التذكير بكونه حي دائم . الأمر الذي يقرب المراجعة التراثية من الموضوعية العلمية لكي نصل الى صورة متكاملة لحياة مجتمعاتنا المتطورة .

ان السلوك المؤدي الى الأخلاق الحميدة ومكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال والآداب وحسن التصرف واللياقة الاجتماعية السليمة والتي غادرناها بعض الشيء وجدناها في مجتمعات أخرى لا تدين بالاسلام الا انها اتبعت المنهج الاسلامي وان لم يكونوا مسلمين . وفي بحثنا هذا تذكير لما كنا عليه وعرض ما هو عليه الآن في المجتمعات المتحضرة ، علنا نجد البوصلة التي بها نهتدي .

لو استعرضنا سيّر وأخلاق المسلمين في صدر الاسلام وما بعد ذلك نجد ما كنا نتسم به من الأخلاق الحميدة والآداب وحسن التصرف واللياقة والرزانة ما نعجز عن ذكره . ولنا في رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) أسوة حسنة الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، وهو الذي جاء بشيراً للعالمين ، فما يتعلق بخلقه (صلى الله عليه وسلم ) ، ما كان يدخلون عليه لا يخرجون الا أدلة فقهاء . فلقد كان يخزن لسانه الا فيما يعنيه وكان يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم . ويحذر الناس الفتن ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس فيحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه .

عن أنس بن مالك قال : ( لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وكانوا اذا رأوه لم يقوموا اليه لما يعرفون من كراهيته لذلك[15] . وعن ابن مسعود قال : ( أتى النبي رجل يكلمه فأرعد ، فقال ( صلى الله عليه وسلم ) : هون عليك فلست بملك ، انما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد في بطاح مكة[16] . ( القديد : اللحم المقدد المجفف )

( * ) مفهوم الانومي الذي ذكره مارتن والذي اقتبسه من العالم الفرنسي أميل دوركايم والذي كتب فيه في بداية القرن التاسع عشر .

كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو الذي يذكرنا بنعم الله تعالى ليبعد عن الانسان المعصية ويذكره في الآخرة والحساب ليستقيم سلوكه في الدنيا ، فهو لم يدع شيئاً الا وذكره فله تعليماته في الصحة وما يؤدب الناس وكذلك في ما يتعلق بالآداب العامة وضمان حق الصحبة وحق الجليس والجار والشريك وحق الخصم وحق الصغير والسائل وفي النظافة والملبس والبيت ومحل العمل والنهي عن النميمة واليمين الكاذبة ، ودعا الى احقاق الحق في البيع والشراء ونبذ الغش وأحكام الزواج وأصناف النساء وأخلاقهن وحق الزوج على المرأة وحق المرأة على الزوج والأولاد وما يتعلق بهم وحق الصحبة ومراقبة الحقوق وطلب الرفعة وآداب السفر .

كان المجتمع العربي الاسلامي اذا ما استبعدنا حضارة وادي الرافدين يزخر بالاضافات الحضارية خاصة ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم ) وأهل بيته وأصحابه ، حيث كرم الله الرسول (صلى الله عليه وسلم ) وعلا لمحاسن الأفعال والآداب والأخلاق وسائر حالاته حيث يقول : ( أدبني ربي فأحسن تأديبي ) و ( بعثتُ لاتمم مكارم الأخلاق ) ، كان نبراساً لأمته ومعلماً تهتدي البشرية به وجل من قائل ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) وهو الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق ويهدي الناس الى المثل والأخلاق الفاضلة والسلوك القويم فلم يكن يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة وان دَقَتْ ولا يذم منها شيئاً، ولا تغضبه الدنيا ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، اذا غضب أعرض وأشاح واذا فرح غض من طرفه .

كان عليه الصلاة والسلام لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر الله ، ولا يوطن الأماكن وينهي عن ايطانها ( أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يعرف به ) واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، يعطي كلاً من جلسائه نصيبه ، حتى لا يحسب جليسه ان أحداً أكرم عليه منه ، ومن سأله في حاجة لا يرده الا بها او بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بسطة وخلعة فكان لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيها الأصوات ، متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى متواضعون ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب .

كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ او غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ، فلا يؤيس منه ولا يخيب فيه مؤمليه ، عند مجلسه لا يتنازع احد عنده الحديث ، واذا تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء او قيام .

ولقد جاء الإسلام بهديه فأسس قواعد السلوك المبني على ثوابت أخلاقية متقدمة وأسس في التصرف واللياقة الاجتماعية حيث أمست قواعد ثابتة لجميع الشعوب المتحضرة وان لم يتدينوا بالاسلام رغم انا تركنا ونسينا الكثير منها . فهذا انس بن مالك يذكر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) اذ يقول : ( خدمت النبي (صلى الله عليه وسلم) تسع سنين فما أعلمه انه لم يقل لي قط هلا فعلت كذا وكذا ولا عاب عليّ شيئاً قط [17] . وعن ابي سعيد الخدري قال : ( كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا ذكر شيئاً عرفناه من وجهه ومن مجمل أخلاقه وأحواله ما جاء في كتاب النبوة عن علي (عليه السلام ) قال : ما صافح الرسول احداً قط فنزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ، وما فاوضه احد قط في حاجة او حديث فانصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف ، وما نازعه احد الحديث فيسكت حتى يكون هو الذي يسكت . . . وكان أقصر الناس خطبة وأقلهم هدراً ( اي تكلم بما لا ينبغي ) وكان يقول : ان خياركم أحسنكم أخلاقاً[18] .

وفي آداب الجلوس يذكر ان دخل عليه (صلى الله عليه وسلم) رجل في المسجد وهو جالس وحده فتزحزح له (صلى الله عليه وسلم) فقال الرجل : في المكان سعة يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام ، ان حق المسلم على المسلم اذا رآه يريد الجلوس يتزحزح له . وروي عن ابي عبد الله من كتاب المحاسن ان الرسول قال : اذا أتى احدكم مجلساً فليجلس من حيث انتهى مجلسه ، وروي عنه قال : اذا قام احد من مجلسه فليجلس من حيث انتهى مجلسه وروي عنه (صلى الله عليه وسلم) انه قال : أعطوا المجالس حقها قيل : وما حقها ؟ قال : غضوا أبصاركم وردوا السلام وأرشدوا الأعمى وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر .

من ذلك نجد ما جاء به الاسلام وما امتازت به هذه الأمة من أخلاق حميدة ومن حسن تصرف عام ، حيث سنتطرق الى هذا الإرث الحضاري المتقدم في هذا المجال بشكل تفصيلي لبيان أوجه المقارنة مع ما هو موجود لدى الشعوب والمجتمعات الأخرى في هذا الصدد ، مبتعدين عن الخلاص النكوصي لدى البعض المتمثل بالاحتماء بالماضي والاندماج فيه الى حد الرضا بمصير الانهيار الواقع عليه ، اذ نحن الذين علمنا العالم ما لم يكن يعلموه . نورد هنا هذا المثال حيث ذكر الله في محكم كتابه عن " حجر السجيل " الذي أحرق به الأعداء في عام الفيل عند غزو الكعبة من قبل أبرهة الحبشي حيث كانت معجزة ، اذ لم يكن يعرف العالم هذا الحجر الا في القرن العشرين من علماء الجيولوجيا حيث اكتشف في البرازيل حجر ناري يسمى بهذا الاسم ( نصّاً ) بلغة أهل هذا البلد وقد أجريت التجارب على هذه الصخور لاستخراج النفط منها لكنهم تركوا الموضوع لكلفته الباهظة ، على أمل ان يُستثمر في المستقبل عندما ينضب النفط نهائياً . فهل كان بالامكان معرفة هذه الصخور ( وبنفس الاسم تماماً ) في الجزيرة العربية في تلك الحقبة من الزمن[19] ، وهل بالامكان اشتعال الماء في البحار ( اذا البحار سجرت

) [*] كما ورد في كتاب الله . وهل عرف العالم ان الماء الذي لا لون له ولا طعم ولا رائحة ومع ذلك هو المسبب لكل شيء حي .

لذا فعند تحليل التغيرات الدقيقة لواقع مجتمعنا والمجتمعات الأخرى فاننا نجد ان لكل مجتمع ظواهر خاصة به وأخرى عامة تعكس الأولى تفاعله مع الأحداث التاريخية والسياسية والاقتصادية والدينية التي مر بها او عاشها وتوضح الثانية السمات المشتركة مع باقي المجتمعات الانسانية لذا نجد بعض الباحثين الاجتماعيين يميلون الى دراسة خصوصية مجتمعاتهم ويدرس البعض الآخر عموميات المجتمع الانساني من خلال المجتمع الذي يعيش فيه .

والمجتمع العربي كباقي المجتمعات الانسانية له ظواهره الخاصة وأخرى عامة ، رغم ان مجتمعاتنا تتمتع بخصوصية وصفات متميزة تستحق الدراسة بشكل مستقل عما يدور في حقل علم الاجتماع ، ولا أدعو أيضاً الى الانفصال عن الظواهر الخاصة والعامة للمجتمعات الأخرى ، قاصداً طرق مواضيع علمية واجتماعية وقاصداً في نفس الوقت اطلاع الآخرين المهتمين بتجارب الشعوب ومقارنتها مع ما هو متبع لدينا ، لذا يتناول بحثنا هذا مواضيع اجتماعية انسانية عامة كونها أكثر من ظواهر اجتماعية تعكس طبيعة المجتمعات التي هي قيد دراستنا هذه ، ولنأخذ أولاً أثر اللغة وانعكاس مفرداتها على التطور الحضاري .

تتأثر اللغة ايما تأثر بتقاليد الأمة وعقائدها ، او نظمها واتجاهاتها الفكرية ، ودرجة ثقافتها ونظرتها الى الحياة ، وشؤونها الاجتماعية العامة . ونوجز القول بأن اللغة تتأثر بحضارة الأمة .

ان كل تطور يحدث يتردد صداه في أداة التعبير فاللغات هي أصدق سجل لتاريخ الشعوب ، فكلما ارتقت حضارة أمة من الأمم تنوعت حاجاتها وكثرت مرافق حياتها وسما رقي تفكيرها وتهذبت اتجاهاتها النفسية ، ونهضت لغتها وسمت أساليبها وتعددت فيها فنون القول . ودقت معاني مفرداتها القديمة (20) واللغة العربية أصدق شاهد على ذلك .

كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية الى حضارة الاسلام أجل الأثر في نهضة لغتهم ورقي أساليبها وشمولها فنون الأدب وشتى مسائل العلوم . ومن الواضح ان انتقال الأمة من البداوة الى الحضر ، يهذب لغتها ، ويزيل ما يكون بها من خشونة لتكسب مرونة التعبير والدلالة . كما تتأثر اللغة بمظاهر النشاط الاقتصادي فتطبع مفرداتها بطابع خاص وكذلك معانيها وأساليبها وتراكيبها . وقد تختلف مظاهر اللغة في الأمم والمناطق تبعاً لعدة عناصر منها ، الاختلاف في نوع الانتاج وطرق نظم الاقتصاد ، وشؤون الحياة المادية ، كما تختلف بالنسبة

( * ) يتكون الماء من H2O ولا يحصل هذا اذا مزجنا الغازين معاً بنفس النسبة ، لكنها حصلت في ظروف خاصة مرت على الكرة الأرضية ولو تم مزج O2h وبنفس الظروف التي مرت على الكون فان الماء يتحول الى سائل شديد الاحتراق .

للمهن السائدة من زراعة وصناعة وتجارة ورعي أغنام . . . الخ ولا يخفى ان اللغة كالمرآة ينعكس فيها كل ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة . فعقائد الأمة وتقاليدها ، ومبادئ السياسة والتشريع والقضاء في دستورها ، ومبادئ التربية في معاهدها وجامعاتها وميلها الى الحرب من أجل السلم او الحياة الكريمة ، وما تعتنقه من برامج ومناهج في النحت والرسم والبناء وسائر الفنون الجميلة .

لذا نجد ان في فرنسا على سبيل المثال يكون مخاطبة الفرد بضمير الجمع هو تعظيم له : ( تفضلوا سيدي ) واجراء الخطاب بصيغة الاخبار عن الغائب ( يتفضل سيدي ) . ان هذه الصيغ من التبجيل هو انحراف أفرادها عن مبادئ المساواة حيث تكثر الفوارق بين الطبقات . لذلك فان تطور هذه الضمائر في أمة ما أصدق سجل لتطور اتجاهاتها في هذه الشؤون فالصراع في اللغة الفرنسية ( tu ) أي أنت و ( vous ) أنتم في مخاطبة المفرد يمثل الصراع بين روح المساواة ونظام الطبقات في هذا المجتمع . لقد كانت الغلبة للضمير ( tu ) في العصور التي سادت فيها المساواة . والضمير الثاني في العصور التي ضعفت فيها هذه المبادئ ، ومثل هذا يقال عن العرب في جاهليتهم من أكثر الشعوب ميلاً الى المساواة بين الأفراد ، لذا ساد في خطابهم ضمير المفرد ، وقد سار القرآن الكريم على هذه الطريقة ، لكن ذلك لم يدم عندما اتسع ملكهم واختلاطهم بالأمم الأخرى وانغماسهم في الترف وأساليب الحياة المترفة واتجاه أغنيائهم الى الترفع عن المستضعفين الأمر الذي أدى الى انحرافهم عن مبادئهم الأولى ، فانحرفت معهم طرق تعبيرهم وساد فيها خطاب المفرد بضمير الجمع واجراء الاخبار في صيغة الاخبار عن الغائب وولدت عندهم الفاظ ( حظرتكم ، جنابكم . . . الخ ) مما أدى الى الناطقين باللغة الواحدة الى فروق في الخواص النفسية والسياسية والحياة الاجتماعية والنواحي الثقافية والتربوية وطرق التفكير ، ومستوى العيش ، والتقاليد والعادات الأمر الذي قد يحسب بان ذلك هو مقياس التمدن والحضارة . وقد تتشكل كذلك اللغة بالشكل الذي يتفق مع اتجاهات الأمة العامة ومطامعها ونظرتها الى الحياة وكذلك خصائصها العقلية او مميزاتها في الادراك والوجدان والنزوع ، ومدى ثقافتها ، ومستوى تفكيرها ، وتفسيرها لظواهر الكون .

اتسمت المجتمعات العربية وكذلك الغربية بهذه السمات التي جعلتها مشتركة حيناً ومتفرقة حيناً آخر فما نجده في مجتمعاتنا في هذا الصدد أي في اللغة بعض التقارب كما أسلفنا فاننا نجد ان في كل مجتمع أعراف وطقوس خاصة به في مجالات شتى فاننا نجد اختلافات كثيرة في الأداء رغم تقارب الهدف المبتغى لكن الاختلاف في بعض التعاليم الدينية الصارمة ، يؤدي بالمسارات ان تسير بشكل متوازٍ معاً ، لكنهما لا يلتقيان وكل منهما يبلغ الغاية المرجوة منها ، وطالما ان بحثنا هذا يتناول المشتركات العامة في السلوك الاجتماعي إزاء طقوس

وممارسات شتى في المجتمع سعينا الى إيجاد الرابط النهائي رغم اختلاف الأداء في التعامل الاجتماعي .

وأهم ما نجد في هذا المجال هو الاختلاف الطبقي في المجتمع وما له من تأثير على اللغة . يبدو ان لاختلاف الطبقات في الأمم الغابرة وفي عصرنا الحالي ، عند هذه الأمم ، وما يفضل بين هذه الطبقات من فوارق في مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية كل ذلك أدى الى التمييز بينها وبين المفردات التي تعبر عن حاجات كل طبقة منها فاذا ما نظرنا الى اللغة الفرنسية مثلاً وجدنا ان كل طبقة اجتماعية منها لها لغة خاصة ومفردات معينة منبثقة من داخلها وهي تشير في صورة ما الى نوع عمل الطبقة والى نشاطها الاقتصادي ، ومنزلتها في سلم الطبقات .

فقد أطلقوا لفظاً خاصة على كل دخل يحصل عليه المساكين بـ ( les secours ) أي النجدة ودخل الخادم بـ ( Les gages ) أي الضمانة ، وعامل اليومية بـ ( salaire ) أي الاجرة والصحفي بـ ( Les mensualite`s )أي الشهرية والجندي بـ ( Les prêt ) أي الأعداد والضابط بـ ( solde ) أي الراتب الجيد وصاحب المهنة الحرة كالطبيب والمحامي والمالك الزراعي بـ ( Les honoraire ) أي أتعاب الشرف والنائب في البرلمان بـ ( Les indemmitē d' un actionnar ) أي المكافأة .

وكثيراً ما ينجم عن معانيها الأولى والذي يؤدي ذلك الى ما يوجد بين تلك الجماعات الناطقة باللغة الواحدة من فروق في الخواص النفسية وفي الشؤون السياسية ، وفي الحياة الاجتماعية والنواحي الثقافية والتربوية وطرق التفكير ، ومستوى المعيشة وحياة الأسرة والتقاليد والعادات .

وقد تتشكل كذلك اللغة بالشكل الذي يتفق مع اتجاهات الأمة العامة ومطامعها ونظرتها الى الحياة . فالانكليز يتجهون نحو الاتجاه العملي في حياتهم لذلك نرى لغتهم قد صبغت بصبغة مادية في مفرداتها وتراكيبها . فيقولون : دفع أكثر ، وانفق وقته في كذا ، وتربح الساعة او تخسر . بدلاً من : الساعة متقدمة او متأخرة .

ولا ننسى الصورة الأدبية وما يكون عليه الأفراد من حشمة او عفة في معاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث صداه في لغتهم الفاظاً وتراكيباً . فالذين يفقهون اللغة اللاتينية يقولون انها تسمي الأمور المستهجنة بأسمائها فتعبر عن العورات والأسماء المنكرة بألفاظها وبعبارات مكشوفة . على حين ان اللغة العربية وخاصة بعد الاسلام ، تتلمس أفضل الطرق في التعبير وأقربها الى الحشمة والأدب في التوضيح عن مقاصدها ، فسرعان ما تلجأ الى المجاز في اللفظ وتستبدل الكتابة بصريح القول . مثلاً : القبل والدبر ، قارب النساء ، لامس امرأته ، قضى حاجته . . . الخ .

ولقد كان لها بهذا الصدد في الفاظ القرآن وعباراته أسوة حسنة : ( نساؤكم حرث لكم فآتوا حرثكم أنى شئتم ) ثم ( واهجروهن في المضاجع ) و ( لامستم النساء ) و ( أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ) و ( والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ) وما الى ذلك من كريم العبارات ونبيل الألفاظ .

وكما وجدنا في اللغة نجد في التعامل الاجتماعي فهي لا تسير تبعاً لأهواء المصادفات ولا وفقاً لارادة الأفراد وانما تخضع في سيرها لقوانين مطردة ثابتة . كما انقرض في العربية كثير من الكلمات الدالة على نظم جاهلية قضى عليها الاسلام،كالمرباع والصرورة والنوافج والاوابد وغيرها (*) .

فالتعامل بين الأفراد يجري وفق معطيات العصر ويخضع لها ، ففي الغرب تم اقتباس الكثير من الممارسات الذي جاء به الاسلام ، إذ ان الحديث الشريف ( رفقاً بالقوارير ) لم يطبق هذا بواقعة عملية واحدة ، سوى اننا نترفق بالجنس الضعيف بصورة او بأخرى في حين ان بعض الدول المتقدمة تطبقها بواقعة مدهشة ففي ارتقاء السُلم في المباني العامة او الجامعات (**) نجد ان الفتاة التي ترتقي السلم فان الرجل يتنحى ليكون خلفها في الصعود وفي النزول تنعكس العملية حيث ان الرجل يسبق الفتاة في النزول ويترك الفتاة خلفه ، والعبرة من ذلك هو ان المرأة أضعف من أخيها الرجل ، فعند تعثرها او سقوطها فانها تجد من يسندها دون ان تتعرض للكســر ( كالقارورة تماماً الذي جاء في الحديث الشريف ) كما يفهموه هم فهذا تطبيق للترفق بالمرأة من وجهة نظر هذه المجتمعات ، الا ان الاسلام قد حرم سير الرجل خلف المرأة لكي لا يتطلع الى حركة ارادفها ، لكنهم يفسرون ذلك وفق ما يفهموه من ذلك .

اما عن آداب الحديث ، يقول وليم شكسبير : " لا يكفي ان تتكلم فقط بل يجب عليك ان تقول ما هو عدل وصحيح [21] " . وان الطريقة التي تلبس بها ملابسك والطريقة التي تتحدث بها تعبر بشكل صريح وواضح عن شخصيتك ، فهي لا تعبر فقط عن أفكارك ، او ردة فعلك تجاه من يحيطون بك ، بل انها تجسد أيضاً ثقافتك وماضيك وطباعك وطريقتك في العيش ، ولكي تتلافى المصائد التي قد تسقط فيها في الحديث عليك أولاً - كما جاء في كتب التربية واللياقة

( * ) المرباع : ربع الغنيمة كانت من نصيب رئيس القوم . والصرورة : هو من يحدث حدثاً ويلجأ الى الحرم . والنوافج : الابل تساق في الصداق .

( ** ) عايشت هذه الظاهرة في جامعة السوربون في باريس عندما كنت احضر للدكتوراه . ولاحظت أيضاً في المدارس الابتدائية للبنات أثناء الاستراحة وجود معلمتان في الساحة تسيران بشكل متعاكس تمسك احداهن بيد الأخرى فالأولى عندما تتقدم الى الامام فان الثانية ترجع معها الى الوراء وبالعكس ، لمراقبة الطالبات بشكل مباشر ، للتدخل السريع لمعالجة أي موقف طارئ .

الاجتماعية - بتربية وتهذيب نبرة صوتك واستخدام المفردات التي تعينك في التعبير عن ما تريده في الحياة الاجتماعية وفي علاقتك مع الآخرين والتأكيد على التخلص من الكلمات المبتذلة و ( السوقية ) لانها قد تصدم المقابل .

ان طبع الفرد وثقافته تكمن في نبرة صوته ، فهنالك أصوات عالية تسمى بالاصوات الحارة وهنالك أصوات لها قابلية الاقناع وأصوات ناعمة هادئة ، كما توجد أصوات جافة وأصوات دقيقة ، وهذه الأصوات لا تعبر فقط عن ثقافة الفرد بل عن الحالة الفيزيائية التي يعيشها . وكذلك عن معنوياته ، انها تعبر عن النشاط او عن التعب او المرض أحياناً . وللتعرف على هذه الطبيعة فما عليك الا ان تسجل صوتك في جهاز التسجيل لتجد حقيقة صوتك وطريقة نطقك بشكل يجعلك ان ترتقي بها .

ان الصوت يعبر عن ما تعلمته منذ الصغر ، وكذلك الوسط الذي عشت فيه ودرجة الثقافة التي حصلت عليها ، فالثقافة توسع مجال المعرفة ، ومد جسور المحبة مع الآخرين ، فهي تعلمنا بان لا نصرخ لكي يسمعنا الآخرون ، بل ان النطق الجيد والكلمات المختارة هي التي تعبر عن أفكارنا بشكل سليم ، وينصح كذلك باعادته قدر الامكان والابتعاد عن الاسترسال في الحديث الى حد الثرثرة لأن ذلك هو مضيعة للوقت ، فالنساء كما نعلم يحاولن الحديث دائماً عن البيت والأطفال والحالة الصحية . اما الرجال فاما عن السياسة او آخر لعبة كرة القدم ، او هموم العمل ، فأثناء العمل حاول ان لا تهدر وقتك بهذه الأمور ، كل هذه التفاصيل يدعوا الآخرين الى الحديث عنك وراء ظهرك لذلك فان ذلك لا يغنيك بشيء .

ان تعرف كيف تكون صامتاً ، لا يعني ان تبقى أبكماً ، لكن اذا كانت لديك الرغبة في الثرثرة حاول ان تسيطر على نفسك بالامتناع عن ذلك قدر الامكان ، حاول الابتعاد عن الحديث عن نفسك ، وان لا تذكر الآخرين بسوء ، لا تحاول ان تلقي بأسئلة حميمية مع من لا تعرفه ، ولا تعطي رأيك الا اذا طلب منك ذلك وكلموا الناس على قدر عقولهم . لا تكن كالعجائز اللواتي يصلصلن ( لغط ) مع كل ريح هاب وعند الاجابة لا تحاول ان تطيل وتسترسل في الاجابة بل اجعله كالجواب : كيف حالك ؟ فقط . اجعل أجوبتك مباشرة على قدر السؤال مصاحبة بعبارة مؤدبة تطفئ بها ما هو جاف[22] .

اما ما يتعلق بالسلوك الاجتماعي القويم واللياقة وحسن التصرف فاننا نتصدى بالمقارنة مع ما هو متبع لدى الشعوب المتقدمة الأخرى . ففيما يخص النظافة والجمال ، فقد أكد الاسلام على ذلك اذ قال الرسول الأكرم : تنظفوا فان الاسلام نظيف . وقوله في حلق الرأس ، إذ قال لرجل : أحلق فانه يزيد من جمالك وقال : أخذ الشعر من الأنف يحسن الوجه[23] وقال في النظافة والتنظيف ما جاء في رواية في الفردوس قال (صلى الله عليه وسلم) : من أراد ان يأمن من الفقر وشكاية العين والبرص والجنون فليقلم أظافره يوم الخميس بعد الظهر ويبدأ

بخنصره من اليسار [*] . وعنه (صلى الله عليه وسلم) وهو يخاطب انس بن مالك : يا أنس أكثر من الطهور يزيد الله عمرك ، فان استطعت ان تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل ، فانك اذا مت على طهارة مت شهيداً [24] . وقال أيضاً : الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي الهم ويصحح البصر [25] . وقال : لا تبيتوا القمامة في البيوت ، فانها مقعد الشيطان [26] ، ولمراعاة ذلك نجد في الغرب ممارسات شبيهة بما لدينا لكنها تختلف في الاسلوب فنجد ان من يحاول العطاس المفاجئ او السعال فانه يسرع لوضع كفه الأيسر امام فمه او انفه ولا يضع كفه الأيمن لئلا ينقل العدوى عند مصافحة الآخرين لهم [27] ، وفي شأن تربية الأطفال فانه يتم تربيته منذ الصغر على تحمل المسؤولية في الحياة فهم يتعلمون في البيت أولاً ومنذ السنوات التي تنمو فيها مداركهم التعود منذ استيقاظه صباحاً ان يرتب سريره وينظيم كل ما يتعلق بغرفته كملابسه والأغطية وحاجات الجيب ، ولا يعتمد على أي شخص آخر مهما كان قريب منه لمعونته لتنظيم حاجاته او غرفته او ملابسه ، ودون ان نرغمه على تنظيف وغسل الغرفة أحياناً فانه يتعود على ذلك بالمران المستمر دون ان يرهق أمه في هذه الأعمال الزائدة ، والحالة هذه فانه يتولى تلميع حذائه بنفسه وتهيئة مظهره في الصباح دون ان يوقظ أحداً من العائلة ، ويسعى الى عدم ترك الأمور في حالة فوضى في غرفته ، وكذلك في غرفة الطعام وفي المطبخ .

اما ما يتعلق بنظافة الملابس والهندام كما وجدنا الاسلام فانه يدعو الى ذلك ويؤكد عليه فحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) واضح في هذا المجال : ( خذوا زينتكم عند كل مسجد ) . وفي ذلك نظافة للبدن والملبس والهيئة والزينة ( قل من حرم زينة الله التي أخرج للعباد والطيبات من الرزق ) [28] فألبس وتجمل ، فان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى أثر نعمته على عبده كما يقوم علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) ، واذا اتسع الزمان فابرار الزمان أولى به . و ( من أراد ان يكثر خيره فليتوضأ ) . والوضوء كما نعلم هو النظافة قبل كل شيء .

اما فيما يتعلق ببعض الحالات اللاإراديةِ فنجد ان الجشاء هو مفخرة لدينا أحياناً ، وهو دليل على الخير الوفير كما نعتقد وعندما يتجشأ احدنا فان الآخرين يهنئونه بعبارات لا تخلو من التشجيع ويعتبر ذلك علامة الشكر والقناعة تجاه الشخص المضيف ، في حين ان الرسول عليه الصلاة منع ذلك بشكل صريح إذ قال : ان أطولكم جشاءً ، أطولكم عذاباً يوم القيامة [29] . وهذا الفعل لدى الآخرين عمل شائن اذ يعتبرون الجشاء ممارسة غير حضارية لذا وردت تعليمات تحث على محاولة كتم الصوت وتلافي ذلك قدر الامكان ، بحيث لا ندع الآخرين يسمعون او يشعرون بذلك . واما ما يتعلق بالبصاق فلا يجوز ان نبصق في مكان

( * ) ذكر الرسول(صلى الله عليه وسلم)لتحديد يوم في الاسبوع وبشكل دائم كي لا تزداد المدة عن اسبوع .

عام ولا في الشارع ، وان كان ولا بد من ذلك فيتم ذلك في منديل دون حدوث صوت عال .

اما بالنسبة للسعال اقتضت التعليمات على وضع اليد اليسرى أمام الفم كما أوردنا سالفاً، والتوقف عن الحديث أثناء السعال ، وما ورد بشأن التثاؤب فيجب وضع اليد على الفم بشكل عمودي واذا تكررت الحالة فعليك ان تعتذر من الآخرين وتغادر المكان ، بخلق عذر ما كمغص في المعدة او انك تعرضت الى تعب او سهر وما الى ذلك . لأن ذلك هو من علامات الضجر وعدم الاكتراث بالآخرين[30] .

وما يخص النميمة فان الاسلام قد نهى عنها بعنف حتى ان صاحبه يطرد من الجنة والرسول عليه الصلاة قال بهذا الصدد : ( لا يدخل الجنة قتات [*] ) . وكما قال الامام علي (عليه السلام ) : ( من نم لك نم عليك ) أي انه نعت النمام وصاحب الغيبة بالمنافق الكريه . وهنا لا يفوتني ان أذكر حادثة حصلت بحضوري أثناء الدراسة بان احد الأخوة العرب كان يحاول دراسة هذا الموضوع في ذلك البلد حيث ذكر لصديق له من الطلبة الجامعيين بان صاحبه يستعيبه ويستغيبه باتيانه بعض الحركات الغريبة اللارادية – وقد كانت له فعلاً بعض منها دون ان يشعر بها – حينها ترك هذا الطالب المكان وكان يتناول الطعام في مطعم الجامعة وذهب ليبحث عن صديقه المعيب ، وعندما سألناه هل انه سيلومه او يؤذيه ، أجاب : كلا ، فسوف أشكره لأنه أخبركم بذلك وذكرتموه لي لأقف إزائها وأتخلص منها لأنها فعلاً تحصل لدي دون الشعور بها او إعارة أي انتباه لها الا بعد ان ذكرتموه لي .

اما ما يتعلق بتقديم الهدايا في المناسبات الشخصية او العائلية فقد حددت لها أعراف وتقاليد ولحظات فتحها والاطلاع عليها . فالهدايا المفاجئة هي التي تثير وتخلق المسرة وتزيد من أواصر المحبة بين المتهادين ، كونها غير منتظرة ، وتقدم دون حصول مناسبة او سابق معرفة ، واتفق على ان لا تكون باهظة الثمن ومكلفة لصاحبها ، بل يتم اختيارها بشكل جيد ، كباقة ورد ، او كتاب كثر الحديث عنه ، او حاجة صغيرة جديدة للبيت .

هنالك هدايا تقدم في مناسبات ، كالتعارف ، أعياد الميلاد ، الانتقال الى بيت جديد ، او النجاح في الدراسة والعمل او حفل استقبال ، كذلك لزيارة المرضى في المستشفى او البيت ، ويتم كذلك اهداء حاجة منزلية صغيرة او علبة حلويات ، او زهور او ما شابه .

يؤخذ بالحسبان عند تقديم بعض أنواع الهدايا كالورد مثلاً، فان الرجل لا يهدي الورد الى الشابات ، سوى في حالات المرض ، او النجاح في الدراسة ، او

---

( * ) نمام .

الفوز في بطولة رياضية ، وكذلك النساء لا يهدين الزهور الى الرجال سوى في حالات معينة ، كالحوادث ، واجراء العمليات الجراحية وهكذا . شريطة ان تحقق الهدية رغبة عند المتلقي ، قد نتعرف عليها بطرقنا الخاصة ، ودون ذلك فان الهدية تفقد هدفها وكذلك قيمتها المعنوية .

هنالك سياق او عرف خاص عند تقديم الهدية كما أسلفت ووقت التقديم ، والأهم من هذا وذاك لحظة فتح الهدية أمام من تقدم بها ، هل نفتحها أم لا نفتحها ومتى ، واتفق بأننا نفتح الهدية أمام أول مهدي شريطة عدم وجود الآخرين والثناء على الاختيار بمدح ذوق صاحبها مهما بلغت قيمتها ، اما عند دخول الشخص الثاني او الآخرين فاننا لا نقوم بفتح الهدية لكي لا نحرج الآخرين بضآلة قيمة ونوع الهدية احتراماً لمشاعرهم ، اذ علمنا بان كل مهدٍ يقدم ما يقدر عليه على وفق دخله .

## الزيـــارات :

يقول المثل الألماني ( كل شيء يبدو صغير فيكبر ) وهكذا فان المحيط الصغير للعائلة يتسع شيئاً فشيئاً بمرور الوقت والسنوات ، حيث تكبر حلقات الأصدقاء والمعارف ، ويقول الفرنسيون بان هنالك صداقة صاعقة كما الحب الصاعق [31] ، حيث يتم قبولهم من أول وهلة ، وبشكل حاسم ، لتتم اللقاءات المستمرة الشبه يومية ، فان كان لديك صديق كهذا عليك ملاقاته دائماً ( فالطريق المملوء بالأعشاب يتحول الى أخشاب ان توقفنا السير فيه ) كما يقول المثل الصيني ، فالطريقة الرائعة للقاء هو ان نفتح أبواب بيوتنا بأوسع ما نتمكن ، وان نستقبل القادم الينا بالترحيب هذا الذي تجشم عناء المجيء ليرانا بوجه طلق .

ان الزيارة غالباً ما تكون لأمر هام ، صديق مشتاق ، جار طيب ودود ، أو للتهنئة بمناسبة ما ، ولادة طفل ، نجاح ، شفاء من مرض او المشاركة في حادثة مؤلمة ، على ان تحصل هذه الزيارات دون تكلف ، محترمين فيها الزمن واختيار الوقت المناسب ، فلا تتم الزيارة في الصباح ، او في أوقات الوجبات ، وعلى ان لا تزيد عن أكثر من ساعة واحدة .

هذا ما اتفق عليه في طقوس الزيارة ، كما اتفق على ان نتحاشى دعوة أشخاص من اختصاص معين مع آخرين من غير الاختصاص ذاته ، كالأطباء والمهندسين ، او موظفين في دائرة معينة لئلا يتم احراج الآخرين بحديثهم حول المهنة دون ان يشاركهم احد ، ونتحاشى أيضاً المطلقين لتلافي حصول الحوادث غير المحمودة عقباها .

عند الحضور للدعوة نجد انه رغم البهجة التي تحصل لدى المدعويين فان للاستقبال شروطاً خاصة بها ، وان حالة الوقوف لكل قادم هي عملية ( جمناستك ) شاقة ومتعبة لا بد منها ، اذ ان الرجال الذين اخذوا اماكنهم في الجلوس والقادمين في بدء الدعوة فانهم مرغمون على الوقوف لتحية القادمين

وخاصة النساء منهن ، اما النساء فانهن يبقين في اماكنهن ولا ينهضن الا عندما يستقبلن صديقاتهن الحميمات ، او امراة كبيرة السن او شخصية هامة جداً . اما الشابات فانهن يقفن لكن لا يمدن ايديهن للتحية اولاً الى الرجال سوى لمن يحاكيها بالعمر ، والشاب ينهض في كل مرة لاستقبال القادم بعده ويعرض له مكانه ، ويبقى واقفاً ان لم يحصل على مقعد ، اما بالنسبة لربة المنزل فانها تنهض لاستقبال كل قادم مهما بلغ عمر هذا القادم حتى لو كان شاباً في مقتبل العمر[32] ، مع اسماعهم كلمات ترحيب مناسبة لكل منهم ، وطالما تكون هي واقفة فان الذكور في الجلسة يبقون واقفين مع ربة البيت عند الاستقبال .

وعند تقديم زائر الى اخر تتبع الصيغة التالية : نقدم الشاب الى من هو اكبر منه سناً ، ونقدم الرجل الى المرأة ، عدا الشخصيات الهامة ورجال الدين ، ونقدم صاحب الوظيفة الدنيا الى من هو اعلى مرتبة منه في الوظيفة ، والتحية تبدأ بالشكل الاتي : ان الشخص الذي نقدم اليه الاخر يمد يده للمصافحة اولاً ، فالاكبر سناً يمد يده لمن يصغره في العمر ، والمرأة للرجل ولا يمد الرجل اولاً اليها يده ، والشخص المهم يمد يده الى الاخر . ففي الغرب فان المراة عند المصافحة تعطي ظهر يدها ، والرجل يمد يده بشكل اعتيادي باطن كفه الى الاعلى ليمس اليد المقدمة اليه،ولدى بعض الطبقات فانه يُقبل يدها .

ينصح بمصافحة يد العامل الذي ياتي للعمل في البيت ، ومصافحته عند انتهاء عمله وخروجه . وبالامكان ان نمد يدنا بالمصافحة للفلاح الذي يعتني بحديقة المنزل ، اعترافاً بحسن عمله ، ولا جدوى بمد اليد لمصافحة ساعي البريد ، او قارئ المقاييس .

## الملابـــس :

يستشهد الفرنسيون بمقولة ( بونا فينتورا دي بيرير ) Bonaventura due priers : ( أن الريش الجميل يصنع الطيور الجميلة ) [33] وان اختيار الانسان لملابسه هو انعكاس لمستوى وعيه وتحضره ومسايرة لعصره ، فاختيار القميص الرخيص بشكل ذكي وملائم يكون هو الملائم فعلاً لشخصية انيقة بمواد رخيصة الكلفة . اما الالوان فان اللون الابيض للقميص يبقى هو اللون المفضل والملائم بشكل عام وان الالوان الصارخة والمشعة فانها تضفي على المرء نوع من البدائية والتخلف لركب عصره ، اما الالوان الزرقاء الفاتحة والابيض العاجي والرمادي ، هي التي تكون ملائمة اثناء النهار وفي المساء فان البعض يختار القمصان المزينة بتكسرات عمودية ( pliers ) ، أنها فعلاً جميلة لحضور الامسيات والاحتفالات لكن لها طابع شخصي قد لا يرتديه الجميع .

وبالنسبة لرباط العنق والجواريب فيكون الاختيار وفقاً للون الطاغي للبدلة ومتناغماً معها ، واما منديل الجيب فيفضل المنديل الابيض مع البدلة ( السموكن ) ، اما المناديل الملونة فانها تساير وتلائم لون رباط العنق ، اما بالنسبة

للاحذية فالمفضل لبس اللون البني او الاصفر في الصباح وبعد الظهر ، ولا نلبس هذه الالوان في المساء مطلقاً ، ولا يجوز كذلك لبسها مع البدلة الزرقاء او السوداء او الرمادي ، وبالامكان لبس الحذاء الصندل لكن في الهواء الطلق فقط ، اما العطور فان الرجل عليه ان لا يستخدم العطور النقية المركزة ، بل يتعطر بماء ( الكولونيا ) المخفف والنوع الجيد .

على الرجال ان يعيشوا عصرهم ويرتدوا ما هو مناسب ، ومتفق عليه من قبل المجتمع ، دون المبالغة في ذلك ، لان ذلك سيفرض احترام الاخرين له . ان العفوية واللبس الطبيعي مدعاة لقبول الاخرين في الوسط الاجتماعي . مبتعدين عن المضايقات التي تتانى من الموديلات الحديثة والصرعات الغريبة .

بقي ان نقول بشان اختيار الوان البدلات اذ يجب علينا معرفة ما يدرسه الفنانون التشكيليون عن دائرة الالوان،لمعرفة الالوان المتقابلة والمتجاورة لتحقيق الانسجام غير المتنافر ، ان الاناقة تفرض ان نكون ملمين بقواعدها ، فهنالك بعض الالوان الداكنة جداً التي تظهرنا نحفاء والبدلات المخططة التي تظهرنا اطول مما هو حجمنا .

كانت النساء في البلدان الاوربية لا يخرجن حاسرات الرأس ، اذ كان ذلك مشيناً وعاراً ، حيث انها كانت تغطي راسها ، لتضفي عليها الاحترام والوقار ، إذ كانت تضع الحجاب على رأسها لتغطيته ، تحولت هذه الحجابات بعدها الى قبعات بانواعها المختلفة وبالوان عديدة كل حسب المناسبة المطلوبة ، لكن الموجة الجديدة غير الملتزمة بالتقاليد حالت دون ذلك[34] وخرجت عنها ، ومع ذلك بقيت تلتزم بها في المناسبات العامة كالصلاة في الكنيسة او الدعوات العامة والخاصة .

وكذلك كانت المرأة الغربية ولا تزال خاصة في الوسط الاجتماعي الرفيع والعوائل المحافظة ، لا تخرج دون وضع القفازات الطويلة في يديها ثم انحسرت الى القفازات القصيرة ، بعدها تنوع مواد صناعة هذه القفازات فاصبحت مصنوعة من الجلد او الكتان او من جلود الغزلان الناعمة ( الشاموا ) ، ولكل مناسبة نوع خاص بها .

## آداب المائدة :

سأل رجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله انا نأكل ولا نشبع ، اجابه الرسول (صلى الله عليه وسلم) : لعلكم تفترقون عند طعامكم ، فاجتمعوا عليه ، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه[35] ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم ) : لا تشبعوا فينطفأ نور المعرفة من قلوبكم [36] . ومن اداب المائدة ان الرسول (صلى الله عليه وسلم ) اذا اكل سمى وأكل ، ولا يتناول من بين يدي غيره ، ويؤتي الطعام فيشرع قبل القوم ، ثم يشرعون [37] . وللرسول (صلى الله عليه وسلم ) ايضاً احاديث كثيرة فهو القائل : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع – أي اذا اكلنا لا نصل حد الشبع ، ولا نأكل حتى نشعر بالجوع فالمعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء كما يذكر عليه الصلاة والسلام ، ومن تعاليم الاسلام انه

حرم بعض الماكولات الضارة كالميتة والدم ولحم الخنزير التي تضر بالنفس والصحة ويقول : من اكل لقمة شحم انزلت مثلها من الداء[38] .

نجد في معظم الامم المتحضرة انه جرت العادة ان تكون وجبات الغداء او العشاء محددة في ساعات معينة يجتمع فيها الجميع حول المائدة ، يحاول الاب ان يروي لابناءه تجاربه الشخصية بنقلها بامانة لهم ليضيف عقلاً وعمراً جديداً اليهم كما انه يبدأ الوجبة بالدعاء والشكر لله على نعمته التي أسبغها عليهم ، او بصلاة قصيرة ، ثم يضيف الاب او الام ملاحظاتهم عن الطعام ، حول ما ينفع وما يضر منه ، وهذا ما نفتقد اليه . وقد نسينا حديث الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم ) : لا تميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب ، فان القلوب تموت كالزروع اذا كثر عليها الماء[39] . ودعى الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) الى النظافة عند الاكل وهو القائل : من اراد ان يكثر خيره فليتوضأ عند حضور طعامه [40] ، ان اصعب شيء ينفر منه الانسان المتحضر في الغرب هو التجشأ عند او بعد الطعام ، وهذه عادة ينفر منها من يتذكر قول الرسول : ان اطولكم جشاءً اطولكم عذاباً يوم القيامة [41] .

وعندما ننتقل الى ما حصل في بعض البلدان الأوربية ، نذّكر ان غرفة الطعام كان يتم تحضيرها بشكل ارتجالي في العصور الوسطى ، دون أي اعداد ، اذ كان يتم اختيار أفضل غرفة او صالة في البيت ، فيه موقد كبير ، وكانت هذه الغرف يتم تقطيعها بواسطة السجاد المعلق بالحبال لتحديد المساحة المطلوبة ، ولخلق ديكور خاص بذلك ، وفي ساعة الأكل تجلب المائدة ويحيط بها أفراد العائلة . وفي السكن النمساوي كانت غرفة الطعام يتم تبديلها وفق الفصول الأربعة ، فالغرفة المطلة على جهة الشمال تستخدم في فصل الصيف [42] اما الغرفة المواجهة لجهة الغرب ففي فصل الخريف والجنوب في الشتاء والشرق في الصيف، وبذلك تضمن الاضاءة الجيدة والهواء المناسب .

هنالك تقاليد وأعراف اتفق عليها لاحترام الطعام فقد جرى العرف في مصر في الريف ان يوضع الطعام على مائدة مستديرة ترتفع قليلاً عن الأرض والحاضرون جالسون على الأرض احتراماً للنعمة في رفعها ويتم احترام النعمة لدى الشعوب الأخرى بعدم وضع الطعام على الأرض ، بل على الموائد ونفتقد نحن الى ذلك حيث نضع الطعام على الأرض عند جلوسنا على الأرض أيضاً ، وبذلك نكون في مستوى أعلى من مستوى الطعام ، كما ان هنالك تقاليد متبعة من جيل لآخر بآداب المائدة في استخدام عدة الأكل والصحون ، فلكل شيء مكانه المخصص السكين في جهة والملاعق في جهة أخرى وكذلك أقداح الماء توضع في أماكن يسهل الوصول اليها دون احداث ضرر بالمواد الأخرى ولا مجال لذكر ذلك بالتفصيل هنا ، اذ يتم تعليم الصغار على ذلك ويلتزمون بها بشكل دقيق ، كما ان هنالك طرق خاصة لأكل بعض الأطعمة والفواكه ، فعلى سبيل المثال فأننا نعصر الليمون بعد قطعها الى نصفين لنسكب ماءها على اللحم او السمك ، اما الآخرون

فيهمون بادخال الشوكة في لبها ويقومون باستدارة الشوكة لعصر السائل على الاكل . اما بالنسبة للموز فيتم قطعها الى قطع عرضية بواسطة الشوكة وليس بالسكين بعد تقشيرها ، ويسمح للاطفال بتناولها باليد فقط .

نظراً لاهمية التقليد المتبع في اعداد وتهيئة المائدة ، اصبح التاكيد على تنظيمها بشكل كبير ليشعر الانسان بانسانيته ، فلا تخلو مائدة من باقة زهور منظمة بشكل منسق في وسط المائدة[43] ، وتوزع الشموع التي تضفي على الجلسة جواً من البهجة الطبيعية والاسترخاء ، اما الاقداح فمكانها امام الصحون من الجهة اليمنى منها ، ويتم اشعال الشموع اثناء الجلوس مباشرة ، وتطفأ بعد الانتهاء من الوجبة ، كما توضع صحن السلطة الى يسار الصحن الرئيسي ، اما بالنسبة للخدمة ، فانه ينصح اثناء الولائم الكبرى ان يكلف شخص له الخبرة والمهارة للقيام بالخدمة اثناء الاكل ، الامر الذي يساعد ربة المنزل على عدم النهوض في كل مرة لتعويض النقص الذي يحصل في الصحون لذا ، فان خدمة المائدة اقتضت الامور التالية : -

- تقديم الصحون على يمين الجالس والسوائل عن يساره .
- لا يترك مكان فارغ امام الضيف في حالة سحب صحنه الفارغ من جهة اليسار ويعوض بصحن مليء على يمينه .
- تعويض الملاعق والشوكات الموضوعة في الصحون الفارغة باخرى جديدة في ذات الوقت .

يتم تقديم الطعام اولاً الى الجالس على يمين صاحب الدعوة ، بعد ذلك لمن يجلس الى يساره ، ثم الى بقية الجالسين مبتدئين بالنساء اولاً وانتهاء بربة المنزل ، ويقدم الطعام الى الرجال لمن يجلس على يمين ربة البيت ، ثم من هو الى يسارها وانتهاءً برب البيت . ويراعى عند الحديث على المائدة الابتعاد عن المواضيع التي تسبب حرجاً لصاحب البيت والمدعويين وهنا يبرز دور صاحب او صاحبة الدعوة في تغيير مجرى الحديث جهد الامكان ، لكي لا يؤدي ذلك الحديث الى منغصات شخصية ، كالحديث في السياسة ، او الامور الشخصية ، التي لا تهم الاخرين[44] .

يتم مسح الفم قبل شرب الماء وكذلك بعده لمنع التصاق المواد الغذائية على القدح ، وجرت العادة ان نضع الشوكة على يسار الصحن بوضع اسنانها الى الاسفل ولا نضعه الى الاعلى ، لان في ذلك – في فرنسا – هو احتقار للضيف ، ونضع السكين على الجهة اليمنى والجهة الحادة منه الى الداخل ، وعند تقديم الحساء نضع ملعقة خاصة بالحساء الى يمين السكين مقلوبة كالشوكة تماماً .

ويسعى الى الابطاء في الاكل وذلك تحقيقاً للاتي :

أ – التلذذ .
ب – للبقاء على المائدة فترة اطول لتقليل المواد المأكولة حفاظاً على الصحة .
جـ - لبيان الوجه الحضاري للانسان الذي يميزه عن الحيوان .

## في الطريـق :

ان الطريق هو مكان للعبور مخصص للجميع ، فهل لنا ان نخوض في الحديث عنه في هذا البحث ؟ . نعم بالتأكيد ، لانه المكان الذي يتحدد فيه التفاعل الاجتماعي ، وتحدد ايضاً العلاقة بين السابلة ويظهر درجة تحضرهم وثقافتهم . وبهذا الصدد تنصح المرأة السير في الشارع بخطوات وئيدة ، معقولة لاظهار وقارها ، فلا يجب الاسراع في خطواتها بابعاد ساقيها كثيراً عن بعضهما ، وعدم دفع ذراعيها بقوة الى الامام والى الخلف كرقاص الساعة ، وبعدم تقليد عارضات الازياء في خطواتهن ، كذلك ينصح ان لا تسير كالوزة ولا كمشي العجائز اللواتي تنقصهن القوة والنشاط ، ولكن ببساطة ليكن المشي معتدلاً هادئاً بخطوات منتظمة محسوبة ، وينصح كذلك عند انتظار سيارة التكسي او الحافلة ان لا نحاول السير بخطوات متسارعة الى اليمين والى اليسار او الطول والعرض كما يفعل العسكري اثناء حراسته[45] .

كان فيما مضى سياق متبع هو في ترك الطريق الملاصق للجدران للنساء والرجال المسنين تحاشياً للسقوط او الحوادث حيث لم يكن للرصيف وجود انذاك ، وقد تركت هذه العادة اليوم بعد انشاء الارصفة ، ومع ذلك فلا مانع من ترك هذه الاماكن لسير النساء او المسنين او لمن يحمل موادا ً ثقيلة ، كمجال شرف احتراما ً لهؤلاء المذكورين . واقتضى الامر ان نكون خلف هؤلاء اثناء عبور الشارع والسير في اعالي الرصيف المقابل ايضاً . وعندما نكون مصاحبين لضيف او لصديق عزيز وكذلك المسنين من النساء على وجه الخصوص فينصح بان نسير بالقرب من حافة الرصيف لئلا يسقط مرافقنا هذا اذا كان الرصيف مزدحماً ، وجرت العادة بان نحيي من يترك لنا الطريق بانحناءة من الراس اكراماً له ، اما اذا سقط شيء من الفتاة التي تسير امامك فما عليك الا الانحناء بهدوء لالتقاط تلك الحاجة وتقديمها بلطف ، والمبادرة بتحيتها بشكل لطيف ولو كان رجلاً فبالامكان تنبيهه دون ضجة او بصيغة امر .

اما ما يتعلق باستخدام السلم ، فنعلم ان للسلم جانبين ، جانب ملاصق للحائط وجانب اخر ذو سور ، فالتقليد يقتضي عند النزول او الصعود بالنسبة للمرأة ان نترك لها الجانب البعيد عن الجدار ، لتساعدها على مسك اطراف السلم ، وعلى المراة ، عندما يترك لها المجال للنزول ، ان تحيي المقابل اذا كان السلم ضيقاً ولا يسمح بعبور شخصين ، هذا فان الرجل يكون دائماً خلف المراة عند الصعود ويسبقها في النزول درءاً لمخاطر السقوط .

## الهاتــف :

منذ ما يقرب من قرن عندما تم اختراع هذا الجهاز العجيب ، فان الهاتف شكل مكاناً واسعاً في حياتنا اليومية العامة والخاصة وبشكل متواصل حيث اصبح حالياً – خاصة بعد اكتشاف الهاتف المحمول – من الاشياء الضرورية

جداً لا الكمالية ولكن مع ذلك يبقى الجهاز الارضي الثابت لا غنى عنه ، هذا الجهاز الذي يقطع علينا صمتنا ويوقف لوهلة نشاطنا ، قد يكون مصدر ازعاج ، واحياناً كثيرة مصدر المسرة والافراح واللقاء ، والهاتف شانه شان الاشياء الاخرى له تقاليده الخاصة بالاستخدام . ولكي لا يكون مصدرهم ومضيعة للوقت وعامل ضغط على الاخرين توجب استخدامه بشكل حضاري عصري دون ان يشكل أي مصدر ازعاج للاخرين ، اذ تم الاتفاق على استخدامه في ساعات محددة وفي اوقات لا تجلب للاخرين هموم سوء استخدامه ، فهو لا يستخدم قبل الساعة الثامنة صباحاً ، وبعد الساعة التاسعة والنصف او العاشرة مساءاً مع الاخذ بالحسبان ساعات الطعام نهاراً او مساءً ، واقتضى الامر ان يكون الرد على المكالمات غير المعروفة بعبارات مهذبة قد يخطأ المهاتف بالرقم ، فنسأله : بمن اتشرف ؟ عند الاستفسار عن صاحب المكالمة المجهولة، ومن ثم اجابته عندما تعرفه او تعتذر له بعبارات مهذبة .

5 – عند التحدث مع شخص تعرفه ، فينصح ان لا تستمر معه اكثر من 10 دقيقة حيث لا يجب ان يكون التهاتف بديلاً عن حوار بين اثنين ، الامر الذي ليس بمقدور الهاتف ان ينقل حرارة اللقاء وصدق المشاعر . ان الهدف من استخدام الهاتف كما هو معروف هو اما تثبيت موعد او الاخبار عن حالة ما ، او الاستفسار عن الصحة ... الخ .

## المولود الجديد :

واخيراً نعرج على الولادات التي تحصل في بعض الدول المتقدمة والاجراءات المتفقة عليها . ان انتظار طفل مرتقب هو بالنسبة للأبوين مسرة ما بعدها مسرة وأمل كبير منتظر ، ومنذ اعلان الطبيب عن الحمل فان الأم تشيع هذا الخبر بدءاً بوالديها والاقرباء والأصدقاء وقد جرى العرف في الغرب بان الأقرباء لا يجوز لهم زيارة المولود قبل 24 ساعة وبعدها تكون الزيارة قصيرة جداً لكي لا ترهق الأم الشابة ، وان كثر الحضور فعلى الأقربين جداً مغادرة المكان وترك الآخرين ليعودوا في يوم آخر . بالامكان حمل الهدايا للمولود الجديد كالملابس الصغيرة البسيطة ، او مستلزمات الحمام او دمية ، واذا فكرنا بجلب الزهور علينا اختيار الزهور الموضوعة في ( المزهرية) لكي تبقى نظرة لفترة طويلة في غرفة المستشفى تحملها الأم بعد ذلك الى بيتها [46] .

ان كنت احد الزائرين عليك مراعاة الآتي : عدم التحدث بصوت عال وعدم التدخين ، عدم تقبيل الطفل مطلقاً حتى من شعر رأسه ، عليك ان تمدح شعر رأس الطفل ان كان طويلاً او ملوناً، تحدث عن شكل كفيه ويديه ، ذكرهم بقرب شبهه بامه او أبيه ، ولا تذكر او تتحدث عن مصاعب ومشاكل آلام الولادة لمنع مضايقة الأم بهذه الذكرى .

على الأم ان تنتبه لقدوم الزائرين ، ان كانوا أثنين يحمل احدهم هدية والآخر قد لا يحملها فعليها عدم فتح الهدية وعدم شكرها بحضور الآخر ، بل يتم الشكر بالهاتف

بعد ذلك ، وعلى الأم ان ترقد فترة لا بأس بها في المستشفى في الغرفة المنفردة لها مع طفلها لاستعادة ما خسرته من قوة أثناء الولادة .

## في الزواج :

فيما يتعلق بالزواج نجد ان الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) نهى ان يقول الرجل للرجل زوجني اختك حتى أزوجك أختي ، وهذا تعبير عن حق اختيار المرأة لزوجها ، ولا يفرض عليها كما في الخطبة .

لكننا وجدنا أنفسنا خاصة في الفترات المظلمة التي مرت على العراق في العهد العثماني مثلاً ما كان يجري بشأن الزواج إذ كان يقام على أساس ( الخطبة ) ، فالمرأة لا يجوز لها ان تبدي رأيها بصراحة في اختيار زوجها ، لان أهلها هم الذين يفاوضون في اختيار هذا الزوج . فالأهل هم الذين يفاوضون في هذا الأمر ويساومون على مقدار مهرها ، وليس لها الاختيار سوى ان تقول ( نعم ) عند عقد النكاح . واذا امتنعت عن النطق بهذه الكلمة أحاطت بها التهم ونالت العقاب الشديد من ولي أمرها ومن أهلها .

لكن طبيعة التغيير الاجتماعي لا يتم على وتيرة واحدة في جميع نواحي المجتمع ، ففي بعض النواحي يكون التغيير سريعاً كالملابس والمساكن والمهن ووسائل التعليم والثقافة ، بينما يكون التغيير بطيئاً في النواحي الأخرى كالعادات والمعتقدات والتقاليد والقيم مما يؤدي الى التناشز الاجتماعي كما يقول د. الوردي ، فالزواج في الماضي كان على أساس ( الخطبة ) ، وفي الحضارة الحديثة على أساس(الحب) مما أصبح عندها الفتيات في مشكلة ذات حدين عندنا ، فبعد ان تعلمت تطمح الفتاة ان تختار زوجها على أساس الحب بينما أهلها يريدون تزويجها على طريقتهم ( الخطبة ) [48] .

أتضح الآن علمياً ان الحب لا يصلح ان يكون لوحده أساساً للزواج الناجح ، فان له عيوبه مثل ما للخطبة عيوبها . لكن المرأة الحديثة لا تعرف ذلك ، فهي تحاول تقليد المرأة الغربية في الزواج القائم على الحب وتنفر من زواج الخطبة . وسوف يأتي عليها يوم تدرك فيه ان زواج الحب هو نفسه لا يخلو من عيوب خاصة به [49] .

حصل الآن في الغرب ما يسمى بزواج الحاسوب حيث يتم تغذيته بكل المعلومات عن الرجل والمرأة ويتم الاختيار وفق المواصفات المطابقة لرغبة كل منهما ، فالحاسوب يعين أي رجل يصلح لاي امراة وحينما يعرف كل منهما اسم الاخر وعنوانه يبدأ التعارف بينهما والمعاشرة . ان زواج الحاسوب افضل من زواج الخطبة والحب كما يقول ( الوردي ) لان في زواج الخطبة يتزوج الانسان دون ان يعرف شريكة حياته مسبقاً او يراها حيث يخضع زواجه للحظ والنصيب اما زواج الحب فيخضع لفورة الغرام كثيراً ما يؤدي الى التسرع في الزواج ثم يتبين للزوجين بعدئذ انهما غير منسجمين نفسياً او جنسياً . ولا ننكر ايضاً هنا

لما لزواج الحاسوب من عيوب خاصة به. وقد ذكر غوته بان الزواج هو بمثابة يا نصيب .

## النتائج والاستنتاجات :

اوردنا في بحثنا هذا ما لدينا وما لدى الغرب من التشابه والاختلاف ، ولكن الصورة تختلف وتتسارع لدى الاخرين ، اذ انهم ترجموا ما لدينا بشكل عملي مفيد ، وبقينا نردد ما لدينا من ارث حضاري رائع دون ان توظف ، فما تطرقنا اليه في البحث لا نريد منه ان نعيش الغرب الشكلي ، بل ان نطلع على القيم الحضارية المجارية للعصر ، بعد ان استشفينا منه بان روح البداوة لا زالت مستمرة في النفوس ، تلك التي لا تتعامل مع المتغير النهضوي بروح ايجابية لانشدادها بقوة الى الماضي الذي نعاني الظلم منه ، من غزو وحرب واستبداد ، بحيث اخذنا نتعامل مع كل جديد ببطء وتكاسل ، واحياناً عبادة الموروث حتى لو كان خاطئاً إذ تصطف بقوة لتحدي كل جديد . لكن بعد ان يفرض المتغير وجوده ويصبح الاخذ بالياته ضرورياً لحياتنا اليومية ، يتحول بعد ذلك الى حالة استعمالية نمارسه ضمن فعالياتنا ، حتى تصبح ضمنها فتكون موروثاً مضافاً الى ارثنا وهكذا .

ان المجتمع يفرض صياغته على الافراد ، فمنذ الطفولة تبدأ الأسرة بالتنشأة الاجتماعية للشخص بحيث يجد نفسه محاصراً بمباديء الجماعة ، لا يملك الانسلاخ عنها بحيث يتشرب مبادئها العامة ، بالرغم من انها تنشأ في الواقع نتيجة لتفاعل الافراد وفي أفكارهم حتى تأخذ صياغتها الاجتماعية ، فالمسؤولية الاجتماعية في توصيل القيم تطرح مبدأ عاماً هو كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، وان استخدام ما هو عديم الفائدة لا ينطوي على حكمه اجتماعية بقدر ما يكون مؤشراً الى عبثية السلوك،وانعدام حسن المسؤولية وهذا ما يتوافق مع تصورنا في السلوك.

ان للثقافة والمثقفين مكانة خاصة في المجتمعات الفقيرة النامية ، والجهل يرسم صورة مضخمة للعلم والمتعلمين ، فيعطي المثقف مركزاً متميزاً ويتوقع منه المستحيل . وفي تصور هذه المجتمعات يختلط المثقف بالمتعلم ويصبح كل من حصل على قسط من العلم ، في نظرها ، مثقفاً .

الواقع ان المثقف ليس من احسن القراءة والكتابة او من حصل على شهادة علمية بل ان ما يميز المثقف ، في أي مجتمع ، صفتان أساسيتان : الوعي الاجتماعي ، الذي يمكن الفرد من رؤية المجتمع وقضاياه من زاوية شاملة ، ومن تحليل هذه القضايا على مستوى نظري متماسك ، وثانياً الدور الاجتماعي ، الذي يمكن وعيه الاجتماعي من ان يلعبه ، بالاضافة الى القدرات الخاصة التي يضفيها عليه اختصاصه المهني او كفاياته الفكرية .

ان المجتمع العربي عموما والعراقي منه على وجه الخصوص يقبل على حركة شاملة لا يمكن ان تتحقق او تتم بدون حدوث او إحداث تغيير وتحول في سلوك الفرد وطبيعة تركيب المجتمع . فالركون لما هو موجود ، لا يؤدي الى

تحريك المجتمع الذي من شانه ان يساير ويواكب المجتمعات المتحضرة ، فالرجوع الى تراثنا الاجتماعي ، والاطلاع على ما لدى الاخرين ، سوف يعيننا في الحصول على القواعد الأساسية للحياة الاجتماعية ، الذي يعمل على رفد مجتمعاتنا بروح المعاصرة ، ونسهم في وضع اللبنات الأساسية في تطور ونهوض المجتمع .

## التوصيات والمقترحات :

نظراً لعدم توفر الكتب والمصادر الخاصة بمادة بحثنا هذا في المكتبة العربية ولضعف دور العائلة في التنشأة الصحيحة ، وكذلك ضياع النشء الجديد بعدم تقديم المؤسسات التربوية والتعليمية ما نطمح اليه في بحثنا هذا نوصي بادخال مادة دراسية تبدأ من المدرسة الابتدائية لغاية الجامعات للتبصير بهذه القواعد الأخلاقية المتحضرة ولنسميها ( اللياقة والتصرف الاجتماعي القيّم ) نستقي مادتها من تراثنا العربي الاسلامي ولكن بثوب العصر الحديث ، والعمل على ترجمة الكتب التي تصدر في أوربا وفي فرنسا على وجه الخصوص والتي تسمى ( savoir vivre ) ( كيف تعيش ) والتي تصدر العشرات منها في كل عام في مجتمعات متحضرة دون انكار ما لدى المجتمع العربي والعراقي بالذات من قيم واعراف حميدة ، لتبقى تذكر أجيالها على ذلك دون ان ننسى ما يضاف له من كل جديد للقضاء على ما يسمى بالامية الاجتماعية ، ان صح القول . وتدريس مادة علم الاجتماع في المدارس الثانوية كدرس أساسي نحن بحاجة ماسة اليه ، خاصة في الأوضاع الراهنة . وما يعانيه مجتمعنا من ضياع وعنف وضبابية .

## الهوامـــــش :

١. د. محمود البستاني،علم الاجتماع في ضوع المنهج الاسلامي ، الناشر : محدث، بيروت ، 2002 ، ص77 .
٢. اميل دوركايم ، قواعد المنهج السوسيولوجي ، ترجمة : حسين الحاج حسن ، بيروت ، بلا تاريخ ، ص448 .
٣. د. علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، ص22 .
٤. د. احسان محمد الحسن ، الانبياء عراقيون ، اصدار جامعة بغداد ، 2004 ، ص8 .
٥. المصدر نفسه ، ص9 .
٦. سورة الاسراء ، الآيات 4 – 8 .
٧. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج3 ، ( القاهرة 1358 ) ، ص25 .
٨. سورة يونس ، الاية 98 .
٩. سورة البقرة ، الآية 102 .

١٠. الطبري ، ابو جعفر محمد جرير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 2 ، ( القاهرة 1987 ) ، ص426 – 427 . وانظر ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج 1 ، بيروت 1983 ، ص122 – 131 .
١١. الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج1 ، ص24 – 25 .
١٢. احسان محمد الحسن ، المصدر نفسه ، ص9 .
١٣. د. علي الوردي ، منطق ابن خلدون ، المكتبة الحيدرية ، 1997 ، ص178 .
١٤. د. معن خليل عمر،نحو علم اجتماع عربي،وزارة الثقافة والاعلام – سلسلة دراسات،ص361.
١٥. رضي الدين ابي نصر الطبرسي ، مكارم الاخلاق ، دار الفقه للطباعة والنشر ، بيروت ، ص15 .
١٦. المصدر نفسه ، ص 5 .
١٧. المصدر نفسه ، ص 16 .
١٨. المصدر نفسه ، ص 55 .
١٩. اسماعيل حبش ، النشرة الاقتصادية العربية الفرنسية – باريس ، العدد 6 ، 1986 ، ص48 .
٢٠. د. حسين الحاج حسن ، علم الاجتماع الادبي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1982 ، ص170 .
21. Jacquline HUMERY , livre d'or de savoir – vivre , edition , Sernice , Gen'eve 1980 P.48 .
22. Gis'ele d' ASSAILLY , le Guide Marbout du savoir vivre , Marbout, Paris, 1977 , P.71 .
٢٣. رضي الدين ابي نصر الطبرسي ، المصدر السابق ، ص 55 .
٢٤. المصدر نفسه ، ص 37 .
٢٥. المصدر نفسه ، ص 130 .
٢٦. المصدر نفسه ، ص 412 .
27. Jacquline HUMERY , op. cit. , P. 114 .
٢٨. سورة الاعراف ، الآية 30 .
٢٩. رضي الدين ابي نصر الطبرسي ، المصدر السابق .
30. Jacquline HUMERY , op. cit. , P.35 .
31. op. cit. , P. 118 .
32. op. cit. , P. 138 .
33. op. cit. , P. 23 .
34. Gisele d' ASSAILLY , op. cit. , P. 10 .
٣٥. رضي الدين ابي نصر الطبرسي ، المصدر السابق ، ص19 .
٣٦. المصدر نفسه ، ص 140 .
٣٧. المصدر نفسه ، ص 26 .

٣٨. المصدر نفسه ، ص 149 .
٣٩. المصدر نفسه ، ص 140 .
٤٠. المصدر نفسه ، ص 130 .
٤١. المصدر نفسه ، ص 138 .
42. Jacquline HUMERY , op. cit. , P. 140 .
43. op. cit. , P. 134 .
44. op. cit ., P 128 .
45. Gisele d' ASSAILLY , op. cit. , P. 100 .
46. Jacquline HUMERY , op. cit. , P. 107 .
٤٧. رضي الدين ابي نصر الطبرسي ، المصدر السابق ، ص 413 .
٤٨. د. علي الوردي ، في النفس والمجتمع ، دار السعدون ، بغداد ، ص173 .
٤٩. د. علي الوردي ، منطق ابن خلدون ، المكتبة الحيدرية ، 1997 ، ص174 .